تهادى ماثيو كثبيرت قائداً فرسه البنية على طول الأميال الثمانية المؤدية إلى بلدة برايت ريفر، مليئاً بالأشجار العطرية والعصافير المغردة والبساتين الممتدة . لكن الإيماء أو تحية النساء قد سببت له بعض المشاكل؛ ويفزع من جميع النساء عدا أخته ماريلا وجارته ريتشيل، ولطالما شعر أن النساء يسخرن منه سراً بسبب مظهره، ذا شعر رمادي يصل إلي حدود كتفيه، وفوق كل هذا لحية ذات لون بني التحاها منذ أن كان في العشرين من عمره، إلا أن التحية أمر واجب في جزيرة برنس إدوارد على الجميع حتى وإن كان لا يعرفه . ليس كذلك؟ زفرت الفتاة زفرة بدت وكأنها صادرة من أعماقها، وقالت: إن مصدر حزنها الأبدي هو شعرها الأحمر، وكم تصورت نفسها بشعر أسود مثل جناح الغراب، ثم سألته عدة أسئلة عن الجمال: كيف يشعر المرء إن كان بديع الجمال ، بعدها تحدثت عن بعض الصفات الحميدة التي لا تراها بنفسها ، ثم وصلا إلى منعطف طريق ، وكان يسمى هكذا بسبب أشجار التفاح الضخمة التي يكتظ بها المكان ، وشكله الرائع وأصاب مشهد هذا المكان الفتاة بالخرس، فبقيت مستغرقة بسكينتها تحملق باتجاه الغروب بعينين احتشدت بروعة في ذلك المكان الباهر. وتابع المسافران طريقهما بصمت أيضاً عندما مرا بالقرية التي نبحت بها الكلاب بصخب ، وعيون الناس عليهما بعدما مضى على ما يقارب ثلاثة أميال سأل ماثيو الفتاة: أعتقد أنك تشعرين بالجوع والإرهاق، مفسراً سبب استغراقها في الصمت، ثم أكمل: لم يتبق لنا مسافة طويلة لنقطعها، استفاقت الطفلة وسألت ماثيو عن اسم ذاك الطريق الذي كانوا به، الطريق الأبيض وأجابها ماثيو: لا بد أنك تقصدين الطريق المشجر (افينيو) وقد قال إنه مكان لطيف. ثم ردت عليه الفتاة كلمة لطيف، فقد كان رائعاً ومكاناً لا يمكن أن يضيف عليه الخيال، ثم سألت ماثيو عن إذا يشعر بهذا الوجع أيضاً، وقالت له الفتا ة: إنها تشعر بذلك كلما رأت شيئا ملكي الجمال، وسمت ذلك الطريق بدرب البهجة البيضاء ، وفسرت ذلك بأنه عندما لا يعجبها اسم مكان أو شخص تخترع له اسماً جديدا، وتتخيله دائما بالاسم الذي اخترعته له كاختراعها لاسم فتاة كانت تعيش معها وأكملت قائلة إنها سعيدة لأنها لم يبق للبيت إلا ميل واحد، ولكنها حزينة بنفس الوقت لأن هذه الرحلة كانت ممتعة وعادة يصيبها الحزن عندما تنتهي الأشياء الممتعة، ولكنها تظل سعيدة لأنهم سيصلون إلى البيت قريباً، فعيشها في بيت حقيقي يجلب لها الوجع المحبب، ثم أكملوا طريقهم بين أشجار القيقب والمشاهد الجميلة كبركة باري التي غيرت الفتاة اسمها لبحيرة المياه البراقة، ثم أكملو حديثهم وسألت الفتاة عن سبب تسمية تلك البركة ببركة باري، فقال لها بسبب قرب منزل السيد باري لها، و سألت الفتاة إذا كان ذلك الرجل يمتلك بنات صغيرات بمثل سنها فأجاب ماثيو نعم لديه فتاة اسمها ديانا وهتفت الطفلة يا له من اسم بديع الجمال بعدها قال ماثيو يبدو أن هناك شيئاً غريباً غير محبب بذلك الاسم ربما لأن المعلم الذي صدف أن يقيم عند عائلة باري بوقت ولادة ديانا قام بتسميتها بذلك الاسم أجابت الفتاة قائلة أتمنى لو كان هناك أستاذ وقت ولادتي . ثم أكملوا طريقهم إلى أن أخبر ماثيو الفتاة أنهم أصبحوا قريبين، وأوقفته الفتاة بتلك اللحظة عن الكلام لأنها تريد أن تخمن البيت وعند وصولهم أشرت إليه، لكني أظن ذلك بسبب وصف السيدة سبنسر للمكان، لكن ماثيو شعر بالقلق وحاول طمأنت نفسه بأن ماريلا هي من ستخبر الفتاة أن البيت الذي تتوق له لن يكون لها، ولكن عند وصوله شعر بشعور غريب كأنه على وشك أن يشارك في ارتكاب جريمة،

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي